

القرآن منهج حياة

إعداد

الأستاذ الدكتور

أنور محمود المرسي خطاب

أستاذ التفسير وعلوم القرآن – جامعة الأزهر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات



١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م



بسم الله الرحمن الرحيم



القرآن منهج حياة

أنور محمود المرسي خطاب

قسم: التفسير وعلوم القرآن، الكلية: كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات، الجامعة: الأزهر، مدينة السادات، جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: anwarkhattab.419@azhar.edu.eg

ملخص البحث: الله –تعالى– أنزل القرآن الكريم على نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– لثلاثة مهامٍ رئيسة:

التعبد بتلاوته، و التحدي للإنس والجن، والعمل بما فيه.

فاقتصر كثير من المسلمين على فهم المهمة الأولى والثانية، ونسوا الثالثة، ومن الضروري التنبيه على هذا الأمر المهم، فالمنهج القرآني شامل لكافة ميادين الحياة، فنظم علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بسائر الناس وعلاقته بالكون كله، وهذا المنهج صالح لكل زمان ومكان، ولكافة الأحوال. وكان تعامل السلف مع القرآن من هذا المنطلق وليس كحال المسلمين اليوم. وتطبيق هذا المنهج يثمر خير الدنيا وسعادتها، ويؤدي إلى الفوز والفلاح في الآخرة ، ولم تصل البشرية إلى حالها السيء هذا إلا ببعدها عن هذا المنهج.

لذا فإن أوصي الأمة جمعاء بالعودة لكتاب ربها، والتمسك به منهجاً لحياتها، وأن لا تهجره، حتى تتمكن من تبوء مكانتها اللائقة بها.

الكلمات المفتاحية: (منهج حياة– مهام القرآن الكريم– العمل بالقرآن– التعامل مع القرآن– واقع الأمة مع القرآن).



The Qur'an is a way of life

Anwar Mahmoud ELMorsi Khattab
Quranic commentary and the sciences of the Qur'an, College: Islamic and Arabic Studies for Girls, Sadat City,
Email: anwarkhattab.419@azhar.edu.eg

Research Summary:

God - the Exalted - revealed the Glorious Qur'an to our Prophet Muhammad (PBUH) for three main tasks:
Worship by reciting it, as a challenge to humans and jinn.
Working according to it.
So many Muslims confined themselves to understanding the first and second tasks, but forgot the third one. Therefore, it is necessary to draw attention to this important matter. The Qur'anic course is comprehensive for all fields of life, so it organizes the relationship of man with his Lord, his relationship with himself, his relationship with other people, and his relationship with the entire universe, and this approach is valid for any time and any place, as well as for all conditions. The Muslim predecessors dealt with the Qur'an according to this point of view, while that is not the state of Muslims today. The application of this course leads to the goodness and happiness in this worldly life, and leads to a great reward and prosperity in the Hereafter. In fact, mankind has not reached this bad state except by being far from this Islamic course.
Thereupon, I advise the whole nation to return to the Book of its Lord, to adhere to it as a way of life, and not to abandon it, so that it can resume its proper position .

Keywords: Life course - tasks of the Noble Qur'an - working according to the Qur'an – dealing with the Qur'an – the reality of the nation with the Qur'an



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله –تعالى– أنزل القرآن الكريم على نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– لثلاثة مهامٍ رئيسة:

١– التعبد بتلاوته.

٢– التحدي للإنس والجن.

٣– العمل بما فيه.

فاقتصر كثير من المسلمين على فهم المهمة الأولى والثانية، ونسوا أو تناسوا الثالثة وغفلوا عنها، بل وأظهروه في صورة سيئة منفرة منه، فأصبح كثير منهم لا يقرأ القرآن أو لا يستمع لقراءته إلا في المآتم، فانطبعت صورة منفرة في أذهان كثير من الناس من هذا الكتاب، إذ إنه ارتبط في أذهانهم بشيء يكرهونه –وهو الموت– في الوقت الذي نزل القرآن لمهمة عظمى بعد الإعجاز والتعبد، وهي مهمة العمل بما فيه، وتحكيمه في دنيا الناس، والعمل به كمنهج حياة للفرد والمجتمع.

لذا فإنه من الضروري بمكان التنبيه على هذا الأمر المهم، فرأيت أن أكتب هذه الوريقات علها تصادف آذانًا صاغية وعقولًا واعية، ورأيت أن أَسِمَها بـ**(القرآن منهج حياة)، وهي سوف تكون في مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة:**

<u>المطلب الأول</u>: (شمول المنهج القرآني لكافة ميادين الحياة)، أبين فيه أن القرآن الكريم أتى بمنهج شامل متكامل لكافة ميادين الحياة، فنظم علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بسائر الناس وعلاقته بالكون

كلـه، وهـذا المـنهج صـالح لكـل زمـان ومكـان، ولكافـة الأحـوال، فـلا يـدعي إنسان في أي زمان ولا في أي مكان ولا في أي حال أنه لا يجد تشريعًا في هذا المنهج لحاله.

<u>المطلب الثاني</u>: (حال السلف مع القرآن وحال المسلمين اليوم معه)، أتحدث فيه عن كيفية تعامل السلف –رضوان الله عليهم– مع القرآن، وأقارن بين حالهم وحال كثير من المسلمين اليوم، وهجرهم للقرآن، وأبين أنواع هجر القرآن.

<u>المطلب الثالث:</u> (أثر تطبيق المنهج القرآني في الحياة)، وهذا يدفعنا للحديث عن الآثار السلبية التي عادت على الأمة بالوبال جراء البعد عن المنهج القرآن، ثم الآثار الإيجابية لتطبيق هذا المنهج.

ثم أختم بذكر أهم النتائج والتوصيات.

المطلب الأول

شمول المنهج القرآني لكافة ميادين الحياة

الله -تعالى- هو خالق الكون كله بما فيه الإنسان وغيره من المخلوقات العلوية والسفلية، فهو -سبحانه- أعلم بهذا الكون وبما يصلحه ويصلح له ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾(١)، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد للعاقل من الرجوع في تسيير حركته في الحياة للمنهج الذي أنزله هذا الخالق العظيم -سبحانه وتعالى- وأَخْذِ منهج التعامل في هذا الكون من هذا الإله العظيم، وهذا المنهج وضعت معالمه وأصوله في كتاب ربنا -سبحانه وتعالى- الذي لم يترك شيئًا في تعاملات البشر في هذه الدنيا إلا وضحها، وبيان ذلك أننا إذا نظرنا وجدنا تعاملات الناس في هذا الكون تنحصر في **أمور ثلاثة:**

١- علاقة الناس بربهم.

٢- علاقة الناس بأنفسهم وبغيرهم من البشر.

٣- علاقة الناس بالكون كله.

ونجد أن القرآن الكريم نظم كل هذه الأمور تنظيمًا دقيقًا، بحيث لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وضع لها قواعد وقوانين تنظمها، وذلك كالآتي:

أولاً: علاقة الناس بربهم:

الله -تعالى- وحده هو الذي خلق الكون، وخلق البشر، وهو وحده الذي رزقهم، وهو الذي يتولاهم، وإذا كان الأمر كذلك فهو وحده الذي يستحق العبادة والطاعة، وهذا أصل عظيم ينبني عليه أصول أخرى كثيرة، وهي وحدة الألوهية ووحدة الربوبية، ووحدة الذات ووحدة الصفات ووحدة الأفعال،

---

(١) سورة الملك، الآية (١٤).

كما ينبني عليه –أيضًا– الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره، وهذه الأمور هي أصول عقيدة الإنسان المسلم، وقد بينها القرآن الكريم خير بيان، فهذا قوله –تعالى– ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[١].

وأمر بتوحيد الله –تعالى– فقال ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾[٢]، ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾[٣]، فأخبر –سبحانه– عن ربوبيته للخلق، ووحدته في ألوهيته، ثم أمر بتوحيده، إذ العبادة هنا –كما يقول العلماء– هي التوحيد، والمعنى "وحدوه بالعبادة"[٤] وهذا "حكم مترتبٌ على مضمون الجملة، فإن مَنْ جمع هذه الصفاتِ كان هو المستحقُّ للعبادة خاصة"[٥].

وتوحيد الله بالعبادة حق لله على عباده، وليس نافلة من النوافل، وقد أخبر بذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما سأل معاذًا –رضي الله عنه–

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

(٢) سورة محمد، الآية (١٩).

(٣) سورة الأنعام، الآية (١٠٢).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (بهامش حاشية زادة٢/١٩٥)

(٥) إرشاد العقل السليم:٣/١٦٩.

(هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟) قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ. قَالَ: (لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا)(١).

ونهى عن عبادة غيره سبحانه– فقال:﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(٢)، وأمر بتنزيهه –سبحانه– عن جميع النقائص، فهو –سبحانه– متصف بصفات الكمال. ولن أقف مع هذه النقطة طويلاً.

وأما علاقة الناس بأنفسهم، فالإنسان صنعة الله –تعالى– خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته وأسكنه هذه الأرض، وأمره بعبادة ربه وخالقه، وأمره أن ينظر في نفسه للتوصل لخالقه –سبحانه–﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(٣).

والنفس الإنسانية لها طموحات وأطماع، ولا بد وأن تكون هذه الطموحات والأطماع خاضعة لما يرضي ربها –سبحانه– فإن في رضاه –سبحانه– الخير كل الخير، وليعلم الإنسان أن ربه الذي خلقه مطلع على كل ما يصدر عنه من تصرفات، بل على ما يخفيه في نفسه ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ

---

(١) أخرجه البخاري ك/ الجهاد والسير ب/ اسم الفرس والحمار:٦/٦٩ رقم (٢٨٥٦)، مسلم ك/ الإيمان ب/ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحَرُمَ عَلَى النَّارِ:١/٤٣ رقم (١٥٣)

(٢) سورة القصص، الآية (١٢٨).

(٣) سورة الذاريات، الآية (٢١).

أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾[١]، فلا يظلم الإنسان نفسه بالمعاصي، إذ قد يكون هذا الظلم سببًا لهلاك الإنسان في الدنيا ونزول العذاب به يوم القيامة ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٢]، هذه النفس ليست ملكًا له، وإنما هي ملك لخالقه -سبحانه- ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[٣]، فلا يحق له أن يتصرف فيها بما لم يحله الله، ولا أن يعرضها للهلاك، إلا إذ سمح الله -تعالى- له بذلك، ولا يكون إلا في ميدان الجهاد في سبيل الله -سبحانه- ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٤]، وهو بذلك يعرضها للهلاك في الدنيا ليحييها وينقذها في الآخرة. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٤).

(٢) سورة ال عمران، الآية (١٦٥).

(٣) سورة النساء، الآية (٢٩).

(٤) سورة التوبة، الآية (٤١).

(٥) سورة الصف، الآية (١٠- ١٢).

هذه النفس مكونة من أعضاء، رئيسها القلب، إذا صلح صلح سائر الجسد، وإذا فسد فسد سائر الجسد كما أخبر بذلك المصطفى -صلى الله عليه وسلم- بقوله **(أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)**(١).

هذا القلب إنما هو بيد الله -تعالى- يصرفه كيف يشاء **(إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ)**(٢) فهو -سبحانه- يهدي النفوس ويبين لها طريق الحق وطريق الشر ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾(٣) "أي: فأرشدها إلى فجورها، أي: بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها.

قال ابن عباس: ﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ بَيَّنَ لها الخير والشر، **وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك والثوري.**

وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخير والشر.

وقال ابن زيد: جعل فيها فجورها وتقواها"(٤).

وأما بالنسبة لعلاقة الناس بغيرهم من البشر فبابها واسع، فهناك علاقة الآباء بالأبناء ببعضهم، والأزواج ببعضهم، والأقارب، والجيران،

---

(١) أخرجه البخاري ك/ الإيمان ب/ فضل من استبرأ لدينه:١/١٥٣ رقم (٥٢)، مسلم ك/ المساقاة ب/ أخذ الحلال وترك الشبهات:٥/٥٠) رقم (٤١٧٨).

(٢) أخرجه مسلم ك/ القدر ب/ تصريف الله -تعالى- القلوب كيف شاء:٨/٥١ رقم (٦٩٢١)

(٣) سورة الشمس، الآية (٧، ٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم:٤/٦٢٨.

وعلاقة الإنسان المسلم بأخيه المسلم، وعلاقة المسلم بغير المسلم في داخل المجتمع الإيماني وخارجه، وعلاقة الحاكم بالمحكوم، والعلاقات الدولية بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول.

فعلاقة الآباء بالأبناء تنبني على وجوب رعاية الوالدين للأبناء رعاية كاملة، حسية ومعنوية، فالأم يجب عليها إرضاع طفلها مدة كافية أقصاها عامان، وتجب نفقتها في هذه المدة على الأب ﴿ **وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ** ﴾(١)، وفي المقابل يجب على الأبناء الإحسان إلى الوالدين وبرهما وطاعتهما وعدم إيذائهما بأي نوع من الأذى، ولقد أولى القرآن الكريم هذه الفريضة عناية فائقة واعتبرها من أهم الواجبات السلوكية بعد واجب التوحيد، مكافأة لهما على التضحية المتفانية في رعاية الأبناء، فبلغ من تقديره وعنايته لهذا الحق العظيم للوالدين حدًّا فاق كل التصورات، وأوفى على كل غاية تتطلع إليها الإنسانية وينشدها البشر في حياتهم ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾(٢)، أما بالنسبة للأزواج، فإن الله -تعالى- خلق الإنسان وخلق فيه شهوة ميل كل واحد من الجنسين للآخر، لتكون

(١) سورة البقرة، الآية (٢٣٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٢٣، ٢٤).

دافعًا له للتزاوج والتناسل الذي به تستمر الحياة، ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ .... ﴾(١)، ثم شرع النكاح ونظمه أحسن تنظيم، فأباح للرجل أن يتزوج واحدة أو اثنتين أو ثلاثًا أو أربعًا بشرط العدل بينهن وأداء حقوقهن، وإلا فليقتصر على واحدة أو ملك اليمين، أو يلجأ إلى الصوم ليكون وقاية له من الوقوع في الفاحشة ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾(٢)، وقال -صلى الله عليه وسلم- **(يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)**(٣).

ويجب على الزوج أن يدفع للمرأة التي يرغب في نكاحها مهرها كاملاً، وهو ملك لها وحدها لا يجوز لزوجها ولا أبيها ولا أيِّ أحد أن يتصرف فيه إلا بإذنها ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾(٤). ويجب أن تقوم الحياة بين الزوجين على التعاون والتواد والتراحم والتآلف ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا

---

(١) سورة ال عمران، الآية (١٤).

(٢) سورة النساء، الآية (٣).

(٣) أخرجه البخاري ك/ النكاح ب/ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ لِأَنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَهَلْ يَتَزَوَّجُ مَنْ لَا أَرَبَ لَهُ فِي النِّكَاحِ: ٩/ ٩ رقم (٥٠٦٥)، مسلم ك/ النكاح ب/ استحباب النكاح:٤/١٢٨ رقم (٣٤٦٤)

(٤) سورة النساء، الآية (٤).

﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾(١)، ويحل لكل واحد من الزوجين أن يستمتع بالآخر في الإطار الذي حدده الله –تعالى– ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢)، ويجب عليه اعتزالها أثناء الحيض ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَآءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٣).

ثم إن حدث خلاف بين الزوجين فيجب عليهما أن يزيلاه من بينهما، فالرجل هو رب الأسرة، إن رأى نشوزًا من زوجته يؤدبها بالوعظ والهجر في المضجع والضرب غير المبرح، ﴿وَالَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(٤)، وإذا رأت المرأة نشوزًا من زوجها فلتلجأ إلى من له تأثير عليه ولتطلب من يصلح بينهما ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا

---

(١) سورة الروم، الآية (٢١).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٢٣).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٢٢).

(٤) سورة النساء، الآية (٣٤).

﴿صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[1]، وإذا خشي المجتمع تزايد حدة الخلاف بينهما فليتدخل باختيار حكمين بينهما من أقربائهما ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[2]، وفي حال وصول الأمر إلى استحالة الحياة بينهما ولم يعد هناك بد من الطلاق فهناك آداب لهذا الطلاق، فيطلقها حائلًا في طهر لم يجامعها فيه، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[3]، ولا تَخرج من بيت الزوجية ولا تُخْرج منه في مدة العدة إلا إذا فعلت ما يستوجب ذلك، والحكمة في ذلك أنه لعل النفوس تهدأ ويراجع كل واحد منهما نفسها ويعودان لبعضهما مرة أخرى.

ومدة العدة مفصلة –أيضًا– كل امرأة بحسب حالها، فالحامل عدتها بوضع الحمل والآيسة والصغيرة عدتها ثلاثة أشهر ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ

(١) سورة النساء، الآية (١٢٨).

(٢) سورة النساء، الآية (٣٥).

(٣) سورة الطلاق، الآية (١).

ﭐلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾[١]، وأما ذوات الأقراء فعدتهن ثلاثة قروء –على الخلاف بين الفقهاء في المراد بالقرء– ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

وفي مدة العدة يحل للزوج أن يراجع زوجته، فتعود الحياة بينهما لطبيعتها، ولكن يمتنع عليه أن يكون إرجاعه إياها بقصد الإضرار بها ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾[٣].

ويجب عليه أن يعطيها جميع حقوقها ولا يدفعه بُغْضُهُ إياها أن يبخسها شيئًا من حقوقها، فيعطيها ما يجب لها من مؤخر صداق ونفقة ومتعة وغير ذلك.

أما علاقة الجيران ببعضهم فهي علاقة يربطها الود والتراحم والتعاون والإحسان ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ

---

(١) سورة الطلاق، الآية (٤).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٢٨).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٣١).

وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[1].

وأما علاقة المسلم بأخيه المسلم فمبناها على الأُخوة وحب الخير له ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2]، (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)[3]. **وبناءً عليه فلا يحل للمسلم أن يسخر من أخيه المسلم ولا أن يعيبه ولا أن يغتابه** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾[4]، **ولا أن يغشه.**

أما علاقة المسلم بغير المسلم فتختلف حسب اختلاف حاله، فهناك الذمي والمعاهد، وهناك الكتابي، وهناك الكافر، وهناك المنافق. وقد فصل القرآن الكريم معاملة كل صنف من هذه الأصناف، بما يضيق المقام عن تفصيله.

وأما علاقة الحكام والمحكومين، فالحاكم له الطاعة من رعيته ما دام لم يأمر بمعصية، ولم يأت بكفر بواح ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ

---

(١) سورة النساء، الآية (٣٦).

(٢) سورة الحجرات، الآية (١٠).

(٣) أخرجه البخاري ك/ المظالم ب/ نصر المظلوم:١١٩/٥ رقم (٢٤٤٦)، مسلم ك/ البر والصلة والآداب ب/ تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم:٢٠/٨ رقم (٦٧٥٠)

(٤) سورة الحجرات، الآية (١١).

﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[(١)]. والمحكوم له الرعاية من الحاكم وأن يقيم فيه شرع الله وأن يحكم بين الرعية بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[(٢)]. وقد نظم القرآن الكريم –أيضًا– العلاقات الدولية في حال الحرب والسلام، وسورة التوبة مليئة بالأحكام في هذا الميدان.

أما علاقة الإنسان بالكون كله، فهناك كائنات تشارك الإنسان في هذا الكون، فينبغي للإنسان أن يتأمل فيه ليتوصل إلى قدرة خالقه –سبحانه– ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[(٣)]، ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ (١٩٠) ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[(٤)]، ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ (٣) وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ

---

(١) سورة النساء، من الآية (٥٩).

(٢) سورة النساء، الآية (٥٩).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٦٤).

(٤) سورة ال عمران، الآية (١٩٠، ١٩١).

﴿مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1]، وإذا نظرنا إلى الأرض وحدها وجدناها تعج بالمخلوقات الكثيرة التي نظم القرآن الكريم علاقة الإنسان بها، فأباح للإنسان الأكل من ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[2]، وأباح التمتع والتزين، التمتع بملاذ الدنيا ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[3]، والأصل في هذه الأشياء كلها؛ الأطعمة والأشربة واللباس والزينة الحلُّ إلا ما استثني، والمستثنى قليل جدًّا ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ

(١) سورة الجاثية، الآية (٣، ٤).

(٢) سورة المائدة، الآية (٤).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٣١، ٣٢).

بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1]، فما دام المصدر حلالًا ويؤدي حق الله فيها فكل شيء حلال، ولا تحريم إلا بنصٍّ.

(١) سورة الأنعام، الآية (١٤٥).

المطلب الثاني

حال السلف مع القرآن وحال المسلمين مع القرآن اليوم

لم يكن السلف الصالح -رضوان الله عليهم- يتعاملون مع القرآن الكريم كما يتعامل كثير من المسلمين معه اليوم، فقد كان السلف يفهمون أن القرآن الكريم نزل لمهام عظام، وليس لمجرد أنه كتاب يقرأ دون أن يتدبر معناه ودون العمل بتعليماته، ففهموا أن صاحب القرآن المذكور في قوله -صلى الله عليه وسلم- (**لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا**)(١) فهموا أن صاحب القرآن المذكور هو من يقرأ ألفاظه ويحفظها ويفهمها ويعمل بما فيها؛ لذلك روي عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- **أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَشْرَ آيَاتٍ فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ**"(٢).

ولذلك فإن ابن عمر -رضي الله عنهما- تعلم سورة البقرة في أربع سنين"(٣)، مع أن كثيرًا من الناس في هذا الزمن يحفظها في نحو الشهر،

---

(١) أخرجه الترمذي ك/ فضائل القرآن ب/ ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر:١٧٧/٥ رقم (٢٩١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، الحاكم ك/ فضائل القرآن ب/ أخبار في فضائل القرآن جملة:٧٣٩/١، رقم(٢٠٣٠)

(٢) أخرجه أحمد:٤٦٦/٣٨ رقم (٢٣٤٨٢)

(٣) الطبقات الكبرى:١٦٤/٤.

والظاهر أن ابن عمر –رضي الله عنهما– لم يكن يكتفي بحفظ الألفاظ، فهذا أمر هين، وإنما كان يهتم مع حفظ الألفاظ بفهم المعاني والعمل بالأحكام.

قال الباجي: ليس ذلك لبطء حفظه –معاذ الله– بل لأنه كان يتعلم فرائضها وأحكامها وما يتعلق بها(١).

وأرجع ابن العربي هذا الأمر لكثرة أحكامها، فقال: "**وَلِعَظِيمِ فِقْهِهَا أَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ثَمَانِي سِنِينَ فِي تَعَلُّمِهَا**"(٢).

وذكر ابن تيمية –رحمه الله– هذا الأثر تحت عنوان **(فصل: في عناية الصحابة والتابعين بمعاني القرآن)** وعلق عليه –مع غيره– قائلاً: "**ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك. وأيضًا، فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابًا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم؟**"(٣).

أما حال المسلمين اليوم مع القرآن فهي حال عجيبة، وذلك أنك تجد كثيرًا منهم ينظر للقرآن الكريم نظرة فيها تشاؤم واشمئزاز ونفور، وما ذلك إلا لأنهم قليلا ما يقرءونه، وإن قرؤوه فإنهم يقتصرون به على أوقات المآتم، مما سبب هذه الحالة عندهم، فقد ارتبط في أذهانهم بحالة يكرهونها، وهي حالة الموت، بينما ارتبطت المعازف والغناء المحرم في أذهانهم بمناسبات الزواج والأفراح، فتنشرح صدورهم عند سماعها، لا لأن المعازف بذاتها تساعد على انشراح الصدور، بل لأنها ارتبطت في أذهانهم بهذه المناسبات

---

(١) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، للإمام: الدين السيوطي: ٢١٦/١.

(٢) أحكام القرآن للإمام: ابن العربي: ١/ ١٥.

(٣) مقدمة في أصول التفسير، للإمام: ابن تيمية صد: ١٠.

السارة، في الوقت الذي تنقبض صدورهم عند سماع القرآن لأنه ارتبط في أذهانهم بأمر يكرهونه، فكثير من الناس إذا دخل بلدًا ما وسمع قرآنًا يُتلى، فإنه يتغير وجهه، وتخرج من هذه الكلمات تلقائيًّا: لا حول ولا قوة إلا بالله، من الذي مات؟ وذلك لما عهده من حال المسلمين تجاه هذا الكتاب، فكثير منهم لا يقرأه إلا في حالات الوفاة.

هذا حال غالبية المسلمين من العوام، أما الخواص فتفرقت مذاهبهم، وتشعبت اتجاهاتهم، وانقسموا بين من يظن أنه يكفي للإنسان أن يتعلم العلم ويقوم الليل به، ويقرأه ويفسره، وقليل منهم من يهتم بجانب العمل بهذا القرآن، ومن يتخذه مصدرًا لسلوكه في هذه الحياة، يأتمر بأمره وينتهي عن نهيه.

وبالنظر في القرآن الكريم نجده يحكي لنا شكوى الرسول قومه لربه بأنهم هجروا القرآن ﴿ **وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا** ﴾[1]، هذا الهجر أنواع، كما ذكر ابن القيم "**هجر القرآن أنواع:**

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصّل العلم.

والرابع: هجر تدبّره وتفهّمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله:

---

(١) سورة الفرقان، الآية (٣٠).

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ وإن كان بعض الهجر أهون من بعض"[١].

فكثير من المسلمين في العصور المتأخرة هجروا العمل به، وهجروا تحكيمه في أمور حياتهم.

(١) الفوائد، للإمام: ابن قيم ص: ٨٣.

المطلب الثالث

أثر تطبيق المنهج القرآني في الحياة

قد يظن البعض أن تطبيق المنهج القرآني إنما هو للتعبد فقط، وليس له أيُّ أثر في الحياة، وهذا خطأ فادح وجهل فاضح، فتطبيق المنهج القرآني يعود بالخير على الإنسانية، كما أن البعد عنه يعود بالشقاء عليها، فما بلغت البشرية إلى ما هي فيه من شقاء إلا ببعدها عن كتاب ربها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾[1]، فـ"الحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة، ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع، إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه، ضنك الحيرة والقلق والشك؛ ضنك الحرص والحذر: الحرص على ما في اليد والحذر من الفوت، ضنك الجري وراء بارق المطامع والحسرة على كل ما يفوت، وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله، وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.. إن طمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولاً وعرضاً وعمقاً وسعة، والحرمان منه شقوة لا تعدلها شقوة الفقر والحرمان، {ومن أعرض عن ذكري} وانقطع عن الاتصال بي {فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى}.. وذلك ضلال من نوع ضلاله في الدنيا، وذلك جزاء على إعراضه عن الذكر في الأولى؛ حتى إذا سأل: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴾؟

---

(١) سورة طه، الآية (١٢٤-١٢٦).

كان الجواب: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾"[١].

هذه المعيشة الضنك نتيجة أنه لا يوجد منهج يصلح لإدارة الحياة وتسيير أمور الناس فيها إلا هذا المنهج القرآني، وذلك لأنه منهج من عند خالق الكون –سبحانه– ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[٢]، أما إن طبق الإنسان هذا المنهج القرآني فإنه سيعيش في سعادة وطمأنينة وراحة بال، وسوف تقل المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وما ذلك إلا لأنه دين واقعي.

وإننا إذا نظرنا إلى سلفنا الصالح حينما طبقوا منهج القرآن الكريم في حياتهم سادوا الدنيا، فملئوها عدلا، فعم الأمن والسلام، وفاض المال حتى لم يعد هناك من يقبله، وحدث هذا في عهد عمر بن عبد العزيز –رضي الله عنه– و"ما شكا فقير حاجة، وكان يكتب إليه عامله على إفريقيا: إني قد جمعت الزكاة وأعطيت الفقراء والمساكين، وبقي عندي مال فماذا أفعل به؟ فيقول: **انظر أيَّ مدين فسدد دينه، فكتب إليه: قد فعلت وبقي عندي مال ماذا أفعل به؟ قال: انظر أيَّ غريب فبلغه بلده، فكتب إليه وقال: قد فعلت وبقي عندي مال ماذا أفعل به؟ قال: انظر أيَّ أعزب فزوجه، وهكذا انتظمت الحياة عند التزام شرع الله في الزكاة**"[٣].

فالأمة عاشت أزهى فترات حياتها عندما طبقت منهج القرآن الكريم وامتثلت

---

(١) في ظلال القرآن: ٤/٢٣٥٥.

(٢) سورة الملك، الآية (١٤).

(٣) شرح الأربعين النووية، للشيخ: عطية سالم (ت: ١٤٢٠هـ) دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامي: ٤/٥١.

لأمر ربها، فلم يوجد بينهم فقير أو محتاج، وساد الأمن بين أبنائها، وصدق فيها قول نبينا –صلى الله عليه وسلم– (**إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الْفَاقَةَ فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكُمْ وَمُعْطِيكُمْ حَتَّى تَسِيرَ الظَّعِينَةُ فِيمَا بَيْنَ يَثْرِبَ وَالْحِيرَةِ أَوْ أَكْثَرَ مَا تَخَافُ عَلَى مَطِيَّتِهَا السَّرَقَ**)(١). وقوله (**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنْ الذَّهَبِ ثُمَّ لَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ**)(٢).

ولم تعاني الأمة من أزمة ما إلا عندما ابتعدت عن منهج ربها، فإذا رأيت مشكلة فاعلم أن هناك خللاً في تطبيق جزئية ما من المنهج القرآني، وذلك لأن هذا المنهج متكامل يأخذ بعضه بحجز بعض، لا يقبل التقسيم أو التجزيء، فيجب الأخذ به كله، لذلك عاب القرآن الكريم على بني إسرائيل أخذهم بجزئيات من كتابهم وتركهم لجزئيات أخرى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٣)، فلم يغن عنهم تمسكهم بأشياء من كتابهم مع تركهم للبعض الآخر، فكانت عقوبتهم الخزي والذل في الدنيا، وأشد أنواع العذاب في الآخرة.

خلاصة الأمر: أن التمسك بالمنهج القرآني يثمر خير الدنيا وسعادتها، ويؤدي إلى الفوز والفلاح في الآخرة، وأن الابتعاد عن هذا المنهج يؤدي إلى المعيشة الضنك في الدنيا، والذل والخزي وعذاب النار في الآخرة.

---

(١) أخرجه الترمذي ك/ تفسير القرآن عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم ب/ ومن سورة الفاتحة:١٠/٢١١ رقم ((٢٨٧٨) وقال: حديث غريب.

(٢) أخرجه البخاري ك/ الزكاة ب/ الصدقة قبل الرد:٣/٣٣٠ رقم (١٤١٤)

(٣) سورة البقرة، الآية (٨٥).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فهذه جولة سريعة حاولت فيها أن أُذَكِّرَ بما يأتي:

أولاً: أن القرآن الكريم منهج رباني شامل لكافة ميادين الحياة، ومتكامل يأخذ بعضه بحجز بعض.

ثانيًا: أن تطبيق هذا المنهج يثمر سعادة الدنيا والفوز في الآخرة.

ثالثًا: أن الأمة ما وصلت إلى ما وصلت إليه إلا بسبب بعدها عن هذا المنهج، وأنها إذا أرادت استعادة مجدها التليد فلا سبيل لها إلا العودة إلى كتاب ربها وسنة نبيها.

ولذا فإن أوصي الأمة جمعاء بالعودة لكتاب ربها، والتمسك به منهجاً لحياتها، وأن لا تهجره، حتى تتمكن من تبوء مكانتها اللائقة بها.

هذا: والله أعلى وأعلم وأعز وأجل وأحكم.

المصادر والمراجع

١- **أحكام القرآن للإمام:** محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي) ط: دار الكتب العلمية.

٢- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، للإمام: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، المتوفى (٩٥١هـ) ط: دار إحياء التراث العربي (بيروت، لبنان)، الطبعة الرابعة: ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

٣- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، المعروف بتفسير البيضاوي، للإمام: ناصرالدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) (بهامش حاشية زادة ط: دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان).

٤- **تفسير القرآن العظيم**، للإمام: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: محمود حسن، ط: دار الفكر، الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٥- **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك**، للإمام: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ط: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

٦- **الجامع الصحيح، المسمى صحيح مسلم**، للإمام: أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط: دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة- بيروت.

٧- **الجامع الصحيح، المشهور بـ"سنن الترمذي**" للإمام: محمد بن عيسى، أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، ط: دار إحياء التراث العربي (بيروت).

٨- **الجامع الصحيح**، للإمام: محمد بن إسماعيل البخاري

(ت:٢٥٦هـ) مع "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" للإمام: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢هـ) تحقيق: محب الدين الخطيب، قصي محب الدين الخطيب، ط: دار الريان – الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

٩- **شرح الأربعين النووية**، للشيخ: عطية سالم (ت: ١٤٢٠هـ) دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامي.

١٠- **الطبقات الكبرى**، للإمام: أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع، المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) تح: إحسان عباس، ط: دار صادر (بيروت).

١١- **الفوائد**، للإمام: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ط: دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

١٢- **في ظلال القرآن**، للأستاذ: سيد قطب، ط: دار الشروق، الطبعة السادسة عشرة: ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

١٣- **المستدرك على الصحيحين**، للإمام: محمد بن عبدالله أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى:١٤١١هـ=١٩٩٠م.

١٤- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

١٥- **مقدمة في أصول التفسير**، للإمام: تقي الدين أبي العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ) ط: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، طبعة: ١٤٩٠هـ=١٩٨٠م.

محتويات البحث